الدرس الثامن عشر

التعليق على كتاب الأمثال لابن القيم

الشيخ مشهور بن حسن ال سلمان -حفظه الله-.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله وأصحابه أجمعين أما بعد:

قال المؤلف –رحمه الله–:

مثل من القياس التمثيلي مثل المغتاب ، فصل: ومنها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)، وهذا من أحسن القياس التمثيلي فانه شبه تمزيق عرض (الأخ بتمزيق لحمه ولما كان المغتاب يمزق عرض) أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت لما كان المغتاب عاجزا عن دفعه بنفسه بكونه غائبا عن ذمه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن كان ذلك نظير تقطيعه لحم، أخيه والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه، ولما كان المغتاب متفكها بغيبته وذمه متحليا بذلك شبه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه، ولما كان المغتاب محبا لذلك معجبا به شبه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتا ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه، فتأمل هذا التشبيه والتمثيل

وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه للمحسوس وتأمل أخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتا، ووصفهم بذلك في آخر الآية والإنكار عليهم في أولها أن يحب أحدهم ذلك فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم وهم أشد شيء نفرة عنه فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا اشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه وبالله التوفيق.

الشيخ:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله أما بعد:

أيضا هذا المثل واضح، وهو مثل تشبيهي وهو مثل شبه فيه ربنا تعالى المعقول المتصور بالمحسوس.

شبه الله تعالى الشيء المعقول المتصور وهو الغيبة بشيء محسوس ملموس وهو أخ لك ميت، أخ وميت وأنت تمزق بدنه وتقطع لحمه وتآكل هذا اللحم.

ذكرت لكم فيما مضى أن ميدان الأمثال في القرآن تدور على ثلاثة أشياء.

الأمثلة السابقة التي مرت بنا هي أمثال في التوحيد، وهذا المثل الأول الذي يمر بنا وميدانه في الأخلاق.

أمثال القرآن كلها تدور حول ثلاثة أمور: العقيدة والأخلاق والأعمال.

المثل القادم في الأعمال.

والأخلاق منها الحسن ومنها السيء وهذا من الخلق السيء وهو خلق الغيبة.

وسوء الغيبة نابع في الحق والحقيقة من سوء في القلب، وهذا معروف في الأثار.

فورد أن لقمان عليه السلام وهو نبي ذبح شاة فقال لولده أخرج لي خير ما في الشاة، ثم دله أن خير ما في الشاة القلب واللسان، ثم بعد ذبح ذبيحة أخرى وقال لولده أخرج لي أخبث ما في الشاة، فلم يحسن الجواب، ثم علمه أن أخبث ما في القلب واللسان.

فأطيب ما في الإنسان القلب واللسان، واللسان يغرف مما في القلب، فالمغتاب لسانه معطل عن ذكر الله، ولا ينشغل بذكر الله، وهمته في تصيد عيوب الخلق. وأسوأ الخلق الذي يعمل على تصيد عيوبهم. الإنسان الطيب الواجب عليه أن يحسن الظن بإخوانه. حتى قال بعض أهل العلم إن رأيت أخاك على معصية فانفك وغاب عنك فينبغي أن تعقد قلبك حسن ظن به وتقول لعله تاب. ولذا إذا ظننا فالواجب علينا ألا نتحقق، والإنسان يكفيه ما في جنبات نفسه {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}، العاقل ينشغل بإصلاح نفسه وهذا طيب، وأكثر ما يظهر إصلاح النفس في حفظ اللسان، لذا ما تجد عالما من العلماء مهذاراً – ثرثاراً– كثير الكلام، وإنما الذي يعرف ربه ويعرف نفسه ويعرف ضعفه فهو لا ينشغل إلا بإصلاح عيوب نفسه ولا ينشغل بالناس.

فالغيبة خلق دنيء وهذا الخلق يدل على السعي في تمزيق أفراد المجتمع.

{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} إثم مبين ويعملون على البهتان.

والغيبة عرفها نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله (الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره) ولو كان فيه؟ قالوا يا رسول الله هي فيه فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم (إذا كان فيه فقد اغتبته وإذا لم يكن فيه فقد بهته) هذا بهتان.

إذا تكلمت عن أخيك شيئا هو ليس فيه فهذا بهتان.

وأما إن تكلمت عن أخيك بما هو فيه في غيابه فهذه تسمى غيبة، لأن الواجب على العبد أن يكون مصلحا، وأن يكون عاملا على تماسك أفراد المجتمع وألا يعمل على تمزيقه.

وبالتالي المغتاب جبان، فالمغتاب لو كانت فيه شجاعة لواجه الذي يغتابه. والأصل فيه أن يقدم النصيحة له، ففرق بين النصيحة وبين التعيير، والمؤمن قبل أن يتكلم يعرض كلامه على قلبه كما يقول الحسن البصري، فالمؤمن يعرض كلامه على قلبه فإن وجد خيرًا نطق ونصح، وإن وجد شرًا سكت، فالمؤمن ينصح والفاسق يفضح، المؤمن ما يفضح المؤمن ينصح، فان وجد شرا طرق الباب أو خلى بالذي ينصحه ولا يعيره، قد يقدع في الكلام عليه إذا استحق المقام، ولكن يبقى على نصيحة والكلام لا يخرج بينهما.

أرأيت لو أنك أسات ثم جاءك رجل تظن فيه الصلاح والعقل والحكمة واللسان الهادئ فعنفك فيما بينك وبينه، ثم ستر عليك ولا تسمع في غيابك إلا خيراً.

كيف تنظر إليه؟

وأقلب الصورة:

لو أن رجلاً كلما التقيته مدحك وأطرى عليك وأثنى عليك ولكنك تعلم في غيابك أنه يأكل لحمك فكيف يكون الحب للأول أو الكره؟ وكيف يكون الحب والكره للثاني؟.

لا شك أن الإنسان يحب من ينصحه، ولو كانت النصيحة فيها غليظة.

لذا قال أهل العلم وهذا كلام رأيته في بطون كتب العلماء منسوبا للإمام الشافعي ثم ظفرت به أنه أخذه عمن قبله. وهذا الخير، هكذا الخير خير يأخذه الخلف عن السلف، يأخذه المتأخر عن المتقدم.

قال الشافعي: إذا نصحت أخاك في سر فقد زنته، وإذا نصحته في علن فقد شنته.

الزين أن تنصح أخاك في سر، هكذا كان المجتمع قوي جدا مجتمع تقع مخاشنة والمخاشنة بأدبها الشرعية، لا تقع الفضيحة، ولذا الشرع يرى أن شيوع الفاحشة أشد من الفاحشة، أن يكون المجتمع قوي ولا يكون المجتمع متهلهلاً –ضعيفا– غير متماسك. اليوم البيت الواحد في غيبة ونميمة، نفس البيت فيه غيبة ونميمة، أسال الله عز وجل العفو والعافية.

فهذا المثل ميدانه الأخلاق، وميدانه حفظ اللسان، الإنسان العاقل يحفظ لسانه ولا يهدي حسناته لغيره، فهو حسناته لنفسه، والإنسان العاقل معرض عن الباطل، منشغل بالذكر ومنشغل بالحق.

الله أرشدنا وعلمنا قبل أن ذكر المثال بإجراءات من غفل عنها وقع في الغيبة ولا بد.

الله جل في علاه قال لنا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا} قبل أن قال {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ} اجتنبوا، الاجتناب: افتعال في اللغة، من جنبه أو الفعل المتعدي أجنبه، والمراد ابتعد، أي اجعل كثيرا من الظن في جانب وأنت في جانب.

سر عدم وقوع العبد في موبقات اللسان الذي كان يخاف منه السلف، كانوا يخافون من ألسنتهم وكانوا يشبهون اللسان بالثعبان، يدس السم ويقتلك وأنت حي.

الناس كما يقول الخليل بن أحمد أربعة: حي حي، وحي ميت، وميت ميت، وميت حي.

حي في نفسه وأكله وشربه، وحي بذكره الحسن بين الناس، فجمع الحياة الطيبة والحياة المادية. وحي ميت {وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} هو ذكره حي بين الناس، مثل الإمام ابن القيم ميت، مات في دمشق رحمه الله وهو الآن ندرس كلامه، فهو حي ميت، أئمة الهدى هو حي ميت، ومن الناس من هو ميت حي، ومن الناس من هو ميت ميت.

الكلام سمي كلاما من الكلم، والكلم هو الجرح، وسمي الكلام كلاما لأثره في النفس، فكما أن الجرح في اليد له أثر في البدن، فإن الكلام له أثر في النفس، ومن أكثر الإساءات التي تزرع الغل والحقد والتباغض في المجتمع أن يُتكلم عنك في غيابك، كن شجاع لا تتكلم عن أحد إلا في حضوره لا تتكلم عن أحد وهو غائب، المغتاب ليس صاحب همة وليس صاحب شجاعة ولا قوة. فهو يتذلل. فكله نقص. ولأن النقص قد اعتراه ولبسه من أعلاه الى أسفله، هو لا يحب إلا الغيبة.

لماذا يحب الغيبة لأنه أسوأ الخلق ويبحث عن عيوب الخلق، فيريد أن يسلي نفسه وأن يطمئنها أن الناس على سوء، ويكذب على نفسه بأنه هو على خير، ولكن في الحقيقة أن المغتاب هو أسوأ الخلق.

الله جل في علاه علمنا كيف نجتنب الغيبة في بداية الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ} اجتنبوا: ابتعدوا، كونوا على جانب، والظن على جانب آخر.{وَاجْنُبْنِي وبنيّ أَن نعبد

الْأَصْنَامَ} اجنبني: أبعدني أنا وبني أن نعبد الاصنام، فاجتنبوا: أي كونوا على جانب والآخر على جانب، والمراد بالآية النهي عن تعاطي الأسباب والوسائل التي يقع فيها الظن.

الظن يحصل عن اضطرار من غير اختيار ولا يعقل أن يقع التكليف بما لا يطيق الإنسان.
والمراد اجتنبوا كثيرا من الظن: اجتنبوا أن تتتبعوا وسائله ولا تنشغلوا به، حصنوا أنفسكم ، عاملوا الناس وأنتم محصنون، لا تندمون، ولا سيما أن تتبعوا ما شرع الله، ما تحسن ظن بأحد وتحسين الظن يخالف نصا من النصوص الشريعة.

مثلاً أردت أن تعطي ديناً، السُنة المهجورة التي انتشر الربا بسببها،-سبحان الله- ابتعد شيء قليل عن الشرع تكون النتائج خطيره وخطيره جداً.

لك أخ أحببته وأحبك وعلاقتك حسنة فيه و حصل دين، ما يجوز لك شرعاً أن تعطيه بسبب تحسين الظن، الواجب أن تثق بالشرع و تُوَثِق الدَّين أو الرهن إلا الدَّين التجاري كما في الآية المطوَّلة شرحناها وفصلناها في هذا المسجد لما شرحنا سورة البقرة، الدَّين ما يجوز أن تعطي أحد ديناً إلا أن تكتبه، فَاكْتُبُوهُ (ما تقول أنا الآن هذا أخي وأنا أعرفه وهو يعرفني وأنا أحبه وهو يحبني هذا فيه خلاف لِما شرع الله من الوسائل التي لا يأمَن أحد أن يتغير أو أن يتبدل، فيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنّ، لا تتتبعوا الظن، ولكن إذا قام مقام هذا العمل التفصيل نص شرعي وحكم واضح جلي، فالواجب أن نبقى على الشرع وأنا لا نسلك طرقا نقع فيها.

لذا في حديث أبي موسى الأشعري ثلاثة لا يُرفع دعائهم فوق رؤوسهم شبراً رجل أعطى آخر ديناً ولم يوثقه.
الحديث : فروى الحاكم في "المستدرك" (2 / 302) بإسناده عن مُعَاذ بْن مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيّ، ،

حدثنا شُعْبَةُ، عَنْ فِرَاسٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ثَلَاثَةٌ يَدْعُونَ اللَّهَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ: رَجُلٌ كَانَتْ تَحْتَهُ امْرَأَةٌ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ فَلَمْ يُطَلِّقْهَا، وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ عَلَى رَجُلٍ مَالٌ فَلَمْ يُشْهِدْ عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ آتَى سَفِيهًا مَالَهُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ .

وقال الحاكم: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ؛ لِتَوْقِيفِ أَصْحَابِ شُعْبَةَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَبِي مُوسَى "، ووافقه الذهبي.

لا يرفع فوق رأسه شبر، إلا إذا أعطيته عَطَّيه، أنت ما تعطيه دين، واحد طلب منك أعطيته قلت هذا فقير وأنا أُعطيه فإن أتى به فأخذه وإن ما أتى به فأنا أحسبه صدقة، هذا لا حرج فيه أما تريد دين يجب عليك أن توثقه.

ولذا معنى الآية الواجب إن خضت في أي أمر أن تتوثق وأن تتأكد منه وأن تُمَحِّصَه وأن لا تخوض فيه بظن، وفي هذا حقيقة أدب عظيم، لأن الناس في الجاهلية المخاطبون بهذه الآية كانت الإشاعات قائمة في مجتمعاتهم، كانت الظنون السيئة والتُهم الباطلة، وكانت هذه البيئة التي يكون فيها تُهم وظنون ينشئ عنها المكائد والطعن في الأنساب وتوصِل إلى القتل، فالله جل في علاه علَّمنا أن لا نظن الظن السيء، عقائدهم كانت قائمة على الظنون السيئة العقائد ليست الأخلاق وهذا مذكور في كثير من الآيات مثل قول الله عز وجل :يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ الآية، ومثل قول الله عز وجل : وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ، يظنون، العقائد قائمة على الظن، سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا

تَخْرُصُونَ) .تظنون

فالظن كان هو الشائع الدارج آنذاك.

قال الله عز وجل :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ، الظنون الآثمة ليست قليلة، اجتنبوا كثيراً من الظن، الظنون الآثمة في الناس ليست قليلة، و أريح شيء في موضوع الظنون ضع ظنونك على جانب وأنت على جانب ما تنشغل .

لذا من أسباب الصلاح ترك الفضول، أن تبتعد عن الفضول، تسمع كلمة مالك ولها ، الفضول قاتل، تدخل في أشياء وتغوص في أشياء وتعرف أشياء لو ما عرفتها ما استفدت منها.

اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ .

فالظنون الآثمة ليست قليله بل كثيرة، وهذا يستلزم وذكرنا أن دلاله اللازم بالشرع في النصوص الشرعية معمول بها قطعاً، فالقران لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ.

الله يأمر بمفهوم المخالفة بوجوب التمحيص و وجوب التثبت، والواجب التمييز بين الظن الصادق والظن الكاذب.

اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ، الظن بماذا؟ مُتَعَلَّق الظن ماهو؟

ما ذكر الله متعلق الظن حتى يذهب الذهن كل مَذهب، وحتى لا تُضَيِّق الظن في شيء، فمُتَعِلق الظَّن الله ما ذكره في القرآن في الآية، حتى ذهنك يذهب لكل ظن، كل ظن ما تنشغِل فيه، قال: اجْتَنِبُوا تكونوا على جانب وهو على جانب يعني ليس فقط اجتناب يعني

بمعنى نهي وإنما بمعنى انسلخ عنه ولا يلزمك ولا يقربك ولا يكون شيئا من أحوالك. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا، هذا قول اللسان ، وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ، قُول قَوْل حسن.

سبب نزغ الشيطان بين الناس ما هو؟

الغيبة، والنميم، أن تقول قولاً غير حسن، و سبب التضييق على الشيطان وأن لا يعبث بالناس وأن لا يُلْقي الظنون السيئة بين الناس إنما هو اللِسان ، وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.لا تقول إلا التي هي أحسن، المؤمن قبل أن يتكلم كما يقول الحسن يتفكر لسانه من وراء قلبه والمنافق قلبه من وراء لسانه ولا يندم ساكت قط لا يندم إلا المتعجل قبل أن تتكلم فكر مره ومره ومرة إذا رأيت المصلحة أن تتكلم أُسكت، فكر مره أُخرى وإذا أردت تتكلم أُسكت وفكر مره أُخرى لن تندم على سكوت.

الإنسان قيمته بين الخلق باللسان.

يذكرون عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله كان في مجلسه بين تلاميذه، والشيخ مع التلاميذ الخواص يتبسط ينبسط، قال فجائه ذات مرة في الدرس رجل ذا لحية طويلة وكبير مُسِن، فتماسك (أبو حنيفة) الشيخ هذا كبير السن، فهابه، ففي الدرس و بعد أن فرغ أبو حنيفة من الدرس قال الشيخ الكبير لأبي حنيفة عندي سؤال، فسقط قلب (أبو حنيفة) بين رجليه، قال: تفضل. فقال الشيخ الكبير: متى يفطر الصائم؟ قال أبو حنيفة: إذا غربت الشمس. فقال الشيخ الكبير فإذا غربت في نصف النهار؟ فمد الإمام أبو حنيفة رجليه، فقال: آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه.

من متى تغرب الشمس في منتصف النهار.

فهذا فضح نفسه بلسانه.

كم من مجلس تجلسه و أنت عليك مهابة، ترى بعض الناس جالسين وعندهم مهابة فيتكلم كلمتين فتسقط هيبته، يسقط الإنسان لا وزن له، فالإنسان قيمته بسكوته، لذا الصالحون يذكرون عن الإمام الزُهري مُحَمَّد بن شهاب الزُهري قالوا: كان إذا تكلم أحصى الناس كلامه ويكتبوه، إن تكلم الناس تكتب كلامه، والذي يُكثر السكوت يُلَقَّى الحكمة، فإن تكلم لا يتكلم إلا بحكمة، و يبدأ الإنسان بالابتعاد عن الغيبة والنميمة إن امتثل مقدمات الآية اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ، في كل باب في كل شيء المتعلَّق المذكور في اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ، الظن في أي باب؟

في كل الأبواب في كل ما يمكن أن يخطر في بالك اجتنبه، فحذف المتعلِّق لتذهب نفس السامع إلى كل ظن ممكن وهذا من مزيد الاحتياط ثم قال الله عز وجل :إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ.

كيف يكون بعض الظن إثم؟

الظن إما أن ينشى عن معتقد كما كان حال الجاهلية، وهذا إثم عظيم، أن تعتقد شيئًا من غير تَثَبُّت ولا دليل، هذا يقع كثيراً هذه الأيام، لا سيما في أوقات الفتن، يخرج أحدهم يقول شيء في الغيب، وأخر يقول سيحدث شيء ما، وكلها ظنون، وكلها تخص المعتقد، والذين يتكلمون بظنون مهندسون وبعضهم مأجور ومأجور لأعداء الإسلام تكلم بالإسلام وظهر هذا بين الحين والحين في الفتن التي تخص حياة المسلمين.

قرات في إبَّان الفتنة التي جرت في العراق و سمعت شيخنا الألباني يقول: لم تمر على المسلمين فتنة مثل هذه والله لما سمعت هذا الكلام استعظمته وما عقَّدت قلبي عليه إلا بعد تأمل شديد وبعد ما جرى و للأن الذي يجري في حياه المسلمين هو امتداد لفتنة الخليج.

ظهر كتاب هرمجدون، وظهرت أخبار وقالوا في كتاب (الجفر) من كُتب الشيعة، قالوا سيخرج صادم فاضطررت أن أنظر في بعض النسخ الخطية لكتاب الجفر صادم! قالوا صادم وهذا صدَّام، التثبُت ما علَّمنا الله عز وجل، فالمذكور في الجفر في مخطوطات الجفر المذكورة ليس صادم بل صارم، وليست صادم، ثم حوِّل صادم إلى صدَّام قالوا هذا مذكور في الجفر من كتب الشيعة عن (علي) وهذا كذبا وزورا هذا كذب والعلماء نبهوا على هذا و منهم الإمام الذهبي وغيره .

فالشاهد إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ يخص الأفعال ، يخص المعتقدات، يخص الأخلاق يخص الأشخاص، كل ما يخطر في بالك الله عز وجل أمرك باجتنابه، مالك وله، لماذا تنشغل بما لا ينفعك، بعض الناس إن سأل ما يسأل إلا على ما لا ينفعه، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، تريح حالك أمر ليس إليك .

صاحب كتاب هرمجدون نقل من مخطوطات 300 مخطوط سمَّاها وطوَّلت في الرد عليه في كتاب (العراق) وقلت له أنا أعرف المكتبات في العالم التي فيها المخطوطات و المخطوطات التي تذكرها كذب وزور ، وهذه المخطوط لا وجود لها إلا في رأسك وليست لها في الحقيقة وجود، حتى لهذه الدرجة يقع الظن حتى تُرَوَّج هذه الأخبار و تُسَلَّل إلى الناس .

تدرون إخواني الناس يحبون النصر، وحُقَّ لهم، لاقوا ويلات، وهذا هو السر الخفي النفسي الذي لا يعرفه كثير من الناس، سر الهوس لما تفوز دولة أو يفوز نادي بالرياضات، في هوس،

الهوس حب النصر، حُقَّ للناس أن تُحب النصر ، لكن النصر الحقيقي، و لذا الغرب يريد أن يصنع أقواما صُنعاً ويكونوا أبطالاً للمسلمين، والسر هو الخوف من وجود البطل الحقيقي، لازم نصنع لهم أشخاص ويعلمون، لذا الذي ينظر إلى كيد الأعداء ، كيدهم قائم على علم، وعلى أصول.

أنظر وسائل الترفيه وإشغال الشعوب بالملذات والشهوات، أكثر عناية المستشرقين في نشر هذا النوع من الكتب وهذه هدايا تقدم إلى الجهات التي تخطط للإساءة للمسلمين والكلام في هذا له ألوان وضروب لست الآن بصدده ولا زوَّرت في نفسي شيء عنه ولكن أريد أن أقول اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ المراد سواء كان هذا الظن يخص المعتقد أو كان يخص العمل .

ومعنى كونه إثماً ينشأ ذلك الظن ما يقع فيه الإثم الذي يغضب الله سبحانه وتعالى. فليقدر الظَّان أن ظنه كاذب، ثم لينظر بعد ذلك في عمله وفي مواقفه ممن يظن، فالظن القبيح بمن في ظاهره خير لا يجوز لذا قال الله عز وجل :إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ الآية نحن نحكم على الناس بالظاهر ولا نظن بهم إلا بما يأذن لنا به شرعنا.

انتبه الآيآت اجْتَنِبُوا كَثِيرًا ، ما قال الظن، ما قال: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا الظن قال : اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ، ثم قال بعدها ما قال إن الظن إثم إنما قال :إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، في بعض آخر من الظن ليس إثماً، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، هنالك شيء آخر ليس إثماً، فأنواع الظنون كثيرة، لكن المراد من الآية أن تَسلَم لك العاقبة وألّا تُشغِل لسانك بالقدح في الناس، ومواقفك خُذ ما تريد من أسوأ الاحتمالات التي يكون عليها الناس (احتاط لنفسك) لكن لا تُشغل لسانك إلا بالخير وابتعد عن الشر، والمراد في النهي عن الكثير من الظن يستلزم النهي

عن الوسائل التي تُوصل إليه، ولما كان بعضه إثماً (بعض الظن إثم) فالواجب أن يحتاط الإنسان لنفسه، وقد قالوا قديماً عبارة جميلة: (أحكم البدايات تَسلَم لك النهايات).

إن ظننت، يُسَوِّل لك الشيطان أن تتحقق، فإن وقعت في شيءٍ من المحظور الأول فإنك لا محالة ستقع في الذي بعده، والذي بعده {وَلَا تَجَسَّسُواْ}، طبعاً الناس يتفاوتون في ظنونهم، بعض رواة الحديث كان يروي بعض الألفاظ على شك، ورأوا أنه كلما شَكَّ صَحَّ شَكُّهُ، فكانوا يقولون ظن فلان خيرٌ من يقين عَلَّان، بعض الناس ظنه أحسن من اليقين، لذا قالوا:(كلٌّ أدرى بمعتاده من الظن وغيره)، حتى قال الشاعر: (الألمعيُّ الذي يظن بك الظنونا. كأن قد رأى وقد سمعا)، هو يظن الظن ولكن حاله كأنه رأى وسمع، فالإنسان المعتاد أن الوسيلة للتحقيق لا تنشغل فيها، لا تشغل قلبك بالظن، فان أشغلت نفسك بالظن مباشرة ستقع في قول الله –عزَّ وجلَّ–: {وَلَا تَجَسَّسُواْ}، فالتجسس هو من آثار الظن، فالظن يبعث عليه، حتى تدعو الظان نفسه إلى تحقيق ما ظنه سراً فيسلك سبيل التجسس، التجسس هو الظن السيء، قال والتحسس هو الظن الحسن، فالتجسس معاملة غير نظيفة وغير طاهرة وتقتضي أن تنتهك حرمة الذي تتجسس عليه، وما أكثر وسائل التجسس هذه الأيام، مثلاً واحد يصورك في الجوال من غير إذنك تجسس، واحد يسجل لك جواب سؤال وأنت لا تعلم تجسس، إذا أردت أن تسجل لغيرك تجسس، واحد يصور لك شيء يخصك تجسس، أمر لي ويخصني لماذا أنت تشيعه في الناس دون إذني؟ هذا من التجسس وهذا داخل في عموم قول الله –عز وجل–: {وَلَا تَجَسَّسُواْ}، فالله –جل في علاه– نهانا عن الظن ونهانا أن نتابع الظن حتى لا نقع في خبر التجسس، فالتجسس سَلْبٌ للأخوة الإيمانية ويبعث على إظهار ما يكره

الانسان المتَجَسَس عليه، سواءً التجسس بالأفعال أو بالأقوال، فلا فرق بين (لا يدخل الجنة نمام) والنمام هو الذي ينقل الكلام بالخفاء، لا يدخل الجنة النمام وكذلك التجسس.

ثم بعد هذا قال الله -عز وجل-: {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ} جاء المثل، فالله -جل في علاه- قبل أن ينهى عن الغيبة بَيَّنَ أن المغتاب يظن ظن سيء، ما تظن ظن سيء واجه الذي يغتابك، كم من كلام يُقال في خلفك ويُنقل إليك والآفة من الأخبار رواتها، قال كلاماً حسناً ما قال كلاماً سيئاً، كثير من الناس -سبحان الله- أنا أذكر لكم شيئاً، مات أخونا فضيلة الشيخ علي الحلبي -رحمه الله تعالى- وأكثر من تأثر بوفاته العبد الضعيف (كنت على علاقة قوية مع فضيلة الشيخ علي)، وقُلتُ في بعض المجالس وأنا مُعتقد وما زلت أقوله قلت: (مَن لم يُخالط الشيخ علي يظلمه، فكتبه التي كتبها والتي حققها كتبها على عجلة لظروف يعني تخصه)، فالذي لا يعرفه إلا مِن كتبه يظلمه، فبلغني بعض الإخوة يقولون أني أنا أتكلم وأغتاب الشيخ علي، فتكلمت مع بعضهم قلت: كيف أنا أغتاب الشيخ علي؟ قال أنت تقول: (أن الذي يعرفه من كتبه يظلمه)، قلت هذه حسنة، العلماء يقولون فلان مثل كتبه ويقولون فلان خيرٌ من كتبه، ويقولون كتب فلان خير منه؛ أرفع الدرجات من كان هو أكبر من كتبه، أرفع الأصناف أن يكون الإنسان هو حاله إن خالطته وسمعتَ منه وسمعتَ تقريراتِه وباحثتَه تعلم أنه خيرٌ من كتبه، هذا مدح أم ذم؟ الجواب: هذا مدح.

فبعض الناس الآفة في فهمه، والله يا إخوة نعيش مع أناس تعجب جداً كيف يفهمون، وتقول الله يعين زوجته.. والله يعين أولاده.. والله يعين أبويه.. الله يعين الناس على بعض الناس! كيف يفهم تعجب! تعجب كيف يفهم الناس! نسأل الله -عز وجل- العفو والعافية؛ بعض الناس ما تدري! فالذين يفهمون حقيقة الكلام على مراد صاحبه قليل، يعني كأن الناس لما

يَسمعون يسمعون بأهوائهم، ما يسمعون ببيان حقائق الأشياء، نسأل الله -عز وجل- العفو والعافية.

قال: {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ}، أيضاً اغتياب على وزن افتعال وهي من الغيبة، فالاغتياب هو في الحقيقة كما قال نبينا -صلّى الله عليه وسلّم-: (أن تذكر أخاك بما يكره) وهو غائب، إذا كان حاضر اجلده، العتاب حَسَن، وإنكار المنكر أي إذا كان على مُنكر أنكر عليه، وإذا كان هذا المنكر قد جهر به يستحق أن يُقَرَّع وأن يُستخدَم معه الإنكار الواضح البَيِّن أمام الناس، لكن خلفه هي الغيبة ولو كان فيه.

{وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ}: ما قال اجتنبوا الغيبة، لأنها {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ} هي ثمرة من اجتناب سوء الظن، الله يغوص في أعماق الخَلْق، الله الخبير، الخبير الذي يعرف ماذا يدور في النفس -سبحانه وتعالى-، والمراد {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ} التمهيد للمثل الذي ذكره الإمام ابن القيم، وهو المثل {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا}، أيحب: استفهام، وهذا الاستفهام ما قال: (ألا يحب أحدكم) إنما قال: (أيحب أحدكم)، لو قال (ألا يحب أحدكم) لكان استفهام إنكاري، لكن هنا قال: (أيحب أحدكم) استفهام تقريري، الاستفهام التقريري العرب تلجأ في إليه لما يكون المقابل -الشخص الآخر- مُقِراً بالحقيقة، يعني المغتاب لما ذَكَرَ اللهُ المثل هل هو مقر بأن أكل اللحم الميت مكروه (فكرهتموه) أم أن هذا المغتاب في هذا المثل غير مقر بأن أكل مكروه؟

الجواب: المخالِف مقرٌ بأن أكل لحم الميت مذموم.. مكروه، لذا الله -جل في علاه- في مثل هذا الإقرار من المخالف يكون الاستفهام استفهام تقريري، والاستفهام الإنكاري لما يكون هو مخالف للمثل المذكور، فالمثل المذكور مثل فيه استفهام تقريري لِتَحقُّق أن كل أحد يُقِرُّ بأنه لا

يحب ذلك، ولذلك أُجِيبَ الاستفهام بقوله –سبحانه وتعالى–: {فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ}، هم يكرهوه أيضاً، ولم يرد الاستفهام على نفي محبة ذلك بأن يُقال (ألا يحب أحدكم) كما هو غالب الاستفهام التقريري إشارة إلى تحقق الإقرار المقَرَّر عليه بحيث يُترَكُ للمُقرر مجالاً لعدم الإقرار، ومع ذلك لا يسعه إلا الإقرار فهذا هو سِر ذكر الاستفهام التقريري لا الاستفهام الانكاري.

مُثِّلَت الغيبة بأكل لحم الأخ الميت، وهو يَستلزم تمثيل المولوغ به بمحبة أكل لحم الأخ الميت، التمثيل ها هنا المقصود منه استفظاع الممَثَّل وتشويهه لإفادة الإغلاظ على المغتابين، لأن الغيبة منتشرة في تلك المجتمعات، فَشُبِّهَت حالة اغتياب المسلم مَن هو أخوه في الإسلام وهو غائب بحالة أكل لحم أخيه وهو ميت، والجامع على ذلك أن الغائب لا يستطيع أن يُدافع عن نفسه، وأنك إن أكلتَ لحم أخيك ميتاً فهو ميت لا يستطيع أن يُدافع عن نفسه، فالغائب الذي تغتابه لا يستطيع الدفاع، ولذا الله –جل في علاه– شبه المغتاب بأكل لحم الأخ قال ميت، الميت لا يستطيع أن يدافع عن نفسه فهو ميت غير حاضر.

يمكن هذا المثل أن تُفَرِّقَهُ فتقول: الذي اغتاب شُبِه بآكل اللحم، والذي اغتيب شبه بالأخ، وغيبته شبهت بالموت.

{أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ}، الضمير فكرهتموه على مَن يعود؟

الجواب: ممكن يعود على أحدكم، وممكن يعود على لحم، فكرهتم أحدكم الذي يحب أن يأكل لحم أخيه ميتاً، وهذا أبلغ في تمزيق أواصر المجتمع؛ وممكن يعود فكرهتم هذا اللحم، هذا لحم إنسان وهذا الإنسان أخ وهذا الأخ لبشاعة التمثيل هو ميت. هو ليس بِحيّ. إذاً {فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ} تعود إلى أحدكم أو تعود إلى اللحم، فهذا مُحتمَل وهذا مُحتمَل والمراد في الأحوال كلها الاشمئزاز والتقذر في هذا الصنيع (أكل لحم الأخ الميت).

نُجمل الكلام ونختم قبل أن نتحول إلى كلام الإمام ابن القيم، له ثلاث ملحوظات مهمات في كتبه عن هذا المثل، في في المثل تقريع للإنسان ومبالغة في بيان صورة المِمثَّل به، نُجملها أولاً الاستفهام التقريري الذي لا يقع إلّا على أمرٍ مُسَلَّمٍ عند المخاطب، فجعلك للشيء في حيز الاستفهام التقريري يقتضي أنك تدعي أنه لا ينكره وإنما هو يكرهه، الاستفهام التقرير أولاً.

ثانياً: ما هو شديد الكراهة للنفس فجعله مفعولاً لفعل (أيحب)، الله ما قال مثلاً أيتحمل أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً، ولم يقل أنه يؤذيه، أو قال مثلاً أنه يؤلمه أو أنه يسيء إليه، وإنما قال (أيحب أحدكم) وفي هذا دلالة على الكراهة، وأن هذا المثل مُستَبشَع مُستَكرَه لا يحبه عاقل، إسناد الفعل إلى أحد للإشعار بأن أحداً من الأكلين أياً كان حاله لا يحب هذا المثل، فذكر أحد وما ذكر ما هي صفاته، فهذا أمر جِبِلِّيٌ منزوع مِن فِطَر الناس وأخلاقهم وعاداتهم، فلا يوجد أحد في الدنيا يحب هذا المثل (أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه)، ثم لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، وإنما جعله أخاً، وكذلك لم يقتصر على كون اللحم المأكول أخ، وإنما وَصَفَه بأنه ميت،. وفي المثل أيضاً مِن مُحسنات الطباق: (أيحب) وجاء بما يقابله (فكرهتموه).

فالغيبة هي شهوة في النفس المريضة، المريض دائماً من أعراض المريض أن يبحث عن السلبيات وعن العيوب، والكامل في شيء يسموه في علم النفس الإسقاط، ، تسقط نفسك مكان غيرك، فالطيب لا يظن بالناس إلا طيباً، بعض الصحابة لما سمع خوض الناس بعرض عائشة –رضي الله تعالى عنها– دخل على بيته واستحلف زوجته يا أم فلان هل كنت فاعليه (أي ما اتهمت عائشة به) هل كنت فاعليه؟ قالت: لا والله، فقال عائشة خيرٌ مِنكِ فهي بريئة، وَصَل إلى براءتها بطيب نفسه، فالطيب لا يضن بالناس إلا طيباً والخبيث لا يظن إلا خبيثاً. لذا قال

أهل العلم: اليهود نفوسهم خبيثة وأبو الدحداح نفسه طيبة، فلما نزل قول الله تعالى: {مَّن ذَا الذي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} فقالت اليهود إن الله فقير ويطلب منا أن نتصدق، نفس خبيثة فقالت خبيثاً، أبو الدحداح لما سمع الآية خَرَجَ مِن أحْسَن أملاكه وقال هي لله، فالطيب لا يفهم إلّا طيباً والخبيث لا يفهم إلّا خبيثاً. وكذلك حال المغتاب، المغتاب خبيث يبحث عن الناس بأي طريقة ولو بالزور والبهتان والكذب وإلحاق العنت بالبرآء من الناس.

فالآية مدارها على تمزيق المجتمع.

من كلمات الإمام ابن القيم البديعة في كتابه الوابل الصيب، ذكر من اغتاب غيره ماذا يصنع؟

الشيطان سول لك فاغتبت أخاً من إخوانك ماذا تصنع؟

الناس على قولين:

القول الأول: أن تخبره وتطلب المسامحة منه، وهذا ليس براجح، هذا مرجوح.

القول الثاني: أن تستغفر له – من اغتبته فاستغفر له – .

يقول الإمام ابن القيم:

يُذكر عن النبي ﷺ أنَّ كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول: اللهم اغفر لنا وله، وذكر هذا الإمام البيهقي في كتابه الدعوات الكبير وقال في إسناده ضعف.

لكن أنا أقول صحَّ هذا عن ابن سيرين كفارة المغتاب أن يستغفر لمن اغتابه.

يقول الإمام ابن القيم :

وهذه المسألة فيها قولان للعلماء وهما روايتان عن الإمام أحمد وهما هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار لمن اعتاب أم لابُدَّ من إعلامه وتحلله؟ قال والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلام بل يكفيه الاستغفار له وذكره بمحاسن ما فيه من المواطن التي اغتابه فيها.

-ذكرت أخاك فشنه واغتبته فالواجب عليك أن تستغفر له وأن تذكره في المجالس بالخير والحسنى.

يقول ابن القيم:

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.

قال: والذين قالوا لا بُدَّ من إعلامه جعلوا الغيبة كالحقوق المالية -كمن أخذ من آخر مالاً- والفرق بينهما ظاهر فإنَّ في الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته له، فإن شاء أخذها وإن شاء تصدق بها، وأما في الغيبة فلا يمكن أن يعود الحق بل ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع، فإنه يوغر صدره ويؤذيه وإذا سمع ما رمي به ولعله ينتج عداوته ولا يصفو له أبداً وما كان هذا سبيله فإنَّ الشارع الحكيم لا يُبيحه ولا يُجوِّزه فضلاً عن أن يوجبه وأن يأمر به ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها لا على تحصيلها وتكميلها.

هذه المسألة الأولى.

إذاً من اغتاب الآخر ماذا يفعل؟

يستغفر له ويذكره بخير.

المسألة الثانية: وهي مهمة، الغيبة وذكر الله عملان متناقضان، من كان يغتاب الناس قلَّ من ذكر الله، هذا اللسان أبو بكر كان يمسكه ويقول: هذا أوردني المهالك، هذه عضلة اللسان لا

تتعب، والشرع أمرنا بالإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى، فلمّا ذكر الإمام ابن القيم في كتابه العجيب وأنصح كل مسلم أن يقرأه كتاب الوابل الصيب –أنصح كل مسلم يقرأ الوابل الصيب، من قرأ الوابل الصيب وفهم الوابل الصيب، فمن ثمرة قراءة الوابل الصيب لسانك لا يفتر عن ذكر الله ،هو في تعداد محاسن الذكر، تبقى ذاكراً، الذي يقرأ كتاب الوابل الصيب لسانه لا يفتر عن ذكر الله، طوَّلَ وفصَّلَ–.

قال ابن القيم في الوابل:

من محاسن الذكر أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل، فإن العبد لابُدَّ له من أن يتكلم ، فإن لم يتكلم بذكر الله وذكر أوامره تكلَّم بذكر هذه المحرمات أو ببعضها، فلا سبيل إلى السلامة منها –السلامة من الغيبة والنميمة– إلا بذكر الله سبحانه و تعالى، قال والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك فمن عوَّد لسانه ذكر الله، صان الله لسانه عن الباطل واللغو.

المنشَغِل لا يُشغَل، الذي ينشغل بذكر الله فلسانه يُصان عن الغيبة.

قال ابن القيم:

ومن يَبِسَ لسانه عن ذكر الله ترطب بذكر كل باطل ولغو وفحش.

بعض الناس لسانه رطب من ذكر الله وبعض الناس لسانه رطب بالغيبة والباطل والفحش ولا يُحسِن أن يمسك لسانه عن هذا، فرق بين هذا وذاك.

وكذلك ذكر أيضاً في الفائدة رقم (72)– طوَّلَ في بيان فوائد الذكر– وقال:

إنَّ في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة واللغو ومدح الناس وذمهم وغير ذلك، فإن اللسان لا يسكت البتة فإما لسان ذاكر وإما لسان لاغٍ ولابُدَّ من أحدهما، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب إن لم تُسكنه محبة الله عز وجل سكنته محبة المخلوقين ولابُدَّ.

المبتلين بالحب الحرام ماذا يعملون؟

يرسموا قلب وقوسان، صحيح، القلب في ما في استقرار، فحب الإنسان لله الأصل ثم حب للشهوة والزوجة والأولاد يكون فرع، جمع بين حبين، أمّا من أحب حراماً لا يمكن أن يجمع بين حب الله وحب الحرام، لا يمكن.

والحب من خطورته في الشرع كما قال ابن مسعود: لو عبد رجل الله أربعين سنة بين الركن والمقام لا يُحشر إلا مع من أحب.

بعض الناس مولوع بمطربة ولا بممثل ولا بقاذف الكرات نجم كرة يُحبّه، يُحشر معه، مصيبة.

والله أرجى أعمالنا عنده سبحانه أننا نحب النبي وأصحابه، والله لا أعلم لنفسي شيئاً أطمع فيه بدخول الجنة ورضا ربي سبحانه وتعالى إلا حبي لرسول الله ﷺ وحبي لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

فالإنسان مع من أحب كما قال النبي ﷺ في الحديث صحيح: (المرءُ مع مَن أحَبَّ وأنتَ مع مَن أحبَبْتَ)

قال:

فالقلب إن لم تسكنه محبة الله سكنته محبة المخلوقين ولابُدَّ، وهو اللسان إن لم تُشغِله بالذكر شغلك باللغو وهو عليك ولابُدَّ، فاختر لنفسك إحدى الخطتين وأنزلها في إحدى المنزلتين.

المسألة الثالثة وهي المهمة أنه الغيبة أحياناً حلال .

غيبة حلال!!

نعم.

النصيحة.

أنا أعلم رجل قريب لي أو جار أو يعمل عندي عرفته لسبب أو لآخر، فأعرف أنه فاسد، فجاءني رجل فقال هذا تقدم لخطبة ابنتي ما هو رأيك أُزوجه ولا لا؟

أنا الآن مضطر اغتابه صحيح ؟ ! لكن هذه الغيبة يترتب عليها إما مصلحة وإما مفسدة، فلي شرعاً أن أتكلم عنه بالمقدار الذي أُحذِّر منه، وهذا المقدار يتفاوت على حسب عقول الناس، يعني جاءني رجل طالب علم صاحب ديانة، وسألني عن فلان، وأنا أعلم أنه ما ينبغي أن يتزوجها، لأنه طالب علم أقول له لا تناسبك، ويحرّم عليَّ أن أزيد عن ذلك، لأني أعلم أن جوابي هذا لا يناسبك يكفيه ويرتدع ويبتعد، فإن احتاج هذا السائل لأن أَبسطُ الكلام قليلاً حتى يقع المقصود من الكلام فلي أن أبسِط بالمقدار اللازم الذي يناسبه ولا يجوز أن أذكر شيئاً إلا ما كنت متيقناً عليه، حتى لا أقع في مقدمات الآية [اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم] ولا يجوز لي أن أتجسس، لا أتجسس ولا أظن الظن السيء وإنما اتكلم بما هو مشروع، وهذا هو الفرق بين النصيحة والتعيير.

قال ابن القيم:

فالنصيحة يكون القصد فيها تحذير المسلم من مبتدع فتان غاش مفسد –وما أكثر أسباب الفساد اليوم– فتذكر ما فيه إذا استشارك في صحبته ومعاملته.

واحد يريد مشاركة آخر نصاب ومضطر تتكلم، والدليل على ذلك أنَّ النبي ﷺ قال لفاطمة بنت قيس عندما تقدم لها اثنان من الصحابة، تقدم لزواجها أبو جهم ومعاوية، فجاءت فاطمة بنت قيس للنبي ﷺ فتقول تقدم لي معاوية وتقدم لي أبو جهم من أقبل فقال النبي ﷺ والحديث مذكور في صحيح الإمام مسلم فقال النبي ﷺ لها: أما معاوية فصعلوك –فقير، ذاك الوقت كان فقيراً– وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه –قيل يكثر الضرب ، وقيل أنه يكثر السفر–.

وعلى كل حال النبي ﷺ ذكرهما بما لا يحبانه، والنبي ﷺ منزه عن أن يكون مغتاباً، فهذه نصيحة.

والقدح ليس بغيبة في ستة، إذا أردت أن تنصح و إذا أردت أن تُعرِّف.

فالمفسدة لما تتعارض تفعل الأدنى حتى لا يقع أخوك الذي يستشيرك بالأعلى ولا حرج في ذلك هذا أمر مشروع.

هذا والله أعلم.

وأنا مضطر لتأجيل درسي كعادتي، أنا أُجل دروسي في شعبان، فشعبان ورمضان لا أُدرِّس فيهما الدروس المعتادة وإنما أتكلم بمواعظ أسأل الله أن ينفع بنا جميعاً وأن يوفقنا.

وأنتم يا طلبة العلم تعلمتم، فالآن علِّموا الناس، الناس تُقبِل في رمضان على المساجد فأخذتم نصيباً ومن أخذ شيئاً من خير فالواجب عليه ألا يحبسه والواجب عليه أن يُذكر الناس في رمضان.

فدروسي هذا الدرس الأخير من درسي في أمثال القرآن وأعود كالعادة لدروسي يوم السبت الثاني من شهر شوال. السبت الثاني من شهر شوال أعود لدرسي في الأمثال ورسي في صحيح مسلم درس الخميس القادم هو الدرس الأخير.

خدمة الدرر الحسان